الإيضاح والبيان لأعظم آية في القرآن

(تفسير آية الكرسي)

إعداد: لولوة بنت عبدالكريم بن سعد المفلح [١]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد، فإن القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية ومشكاة حضارتها، أنزله الله على قلب رسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . فأرشد به إلى أحسن السبل، وهدى به إلى أقوم الطرق قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩) .

وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران: ١٦٤) .

ولا شك أن تدبر القرآن من أسمى العلوم التي ينبغي للمسلم الحرص عليه ليمكنه ذلك من فهم معاني القرآن الكريم. ولأهمية آية الكرسي وعظمها أعددت هذا البحث الموجز وقد نهجت في إعداد هذا البحث

---

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية التربية للبنات بالرياض .

المنهج التالي:

١ - جمع الآيات القرآنية التي لها علاقة بهذه الآية العظيمة .

٢ - جمع ما يتعلق بهذه الآية من الأحاديث النبوية وتخريجها من مصادرها .

٣ - شرح الألفاظ الغريبة من المعاجم اللغوية .

٤ - عدم مخالفة عقيدة اتفق عليها السلف في تفسير الآيات .

٥ - عدم مخالفة قواعد اللغة العربية .

٦ - نسبت المعلومات إلى قائليها .

هذا وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتفسير الآية وخاتمة .

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها منهجي في البحث وما اشتملت عليه دراسة البحث، وأما التفسير: فقد قسمت الآية على عشر جمل بينت فيها تفسير تلك الجمل تفسيراً تحليلياً .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم ما اشتملت عليه هذه الآية العظيمة .

وبعد، فأسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك البحث علماً نافعاً لا سمعة فيه ولا رياء، وأن يهدينا سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

التمهيد: فضل آية الكرسي:

هذه الآية الكريمة هي سيدة آي القرآن، وهي أعظم آية فيه .

«نزلت ليلاً ودعا النبي صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها . روي عن

محمد بن الحنفية أنه قال: لما نزلت آية الكرسي خرّ كل صنم في الدنيا، وكذلك خرَّ كل ملِك في الدنيا وسقطت التيجان عن رؤسهم، وهربت الشياطين يضرب بعضهم على بعض إلى أن أتوا إبليس فأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك، فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت»[(١)].

روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ سأله أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: آية الكرسي، قال: «ليهنك العلم أبا المنذر»[(٢)].

وعن عبدالله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جُرُن[(٣)] فيه تمر قال: فكان أبي يتعاهده فوجده ينقص. قال: فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبيه الغلام المحتلم. قال: فسلمت عليه فرد علي السلام قال: فقلت: ما أنت؟ جني أم إنسي قال: جني قال: قلت ناولني يدك قال: فناولني يده فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت: هكذا خلق الجن؟ قال لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني، قلت فما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك قال: فقال له أبي فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية (آية الكرسي) ثم غدا إلى

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٢٦٨ .

(٢) صحيح مسلم ٢/١٩٩ باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، كتاب الصلاة .

(٣) الموضع الذي يجفف فيه التمر وغيره من الثمار (اللسان ١٣/٨٧ مادة جرن) .

النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق الخبيث»[1].

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: وكلني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه. فأصبحت فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، وخليت سبيله. قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه سيعود. فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته وخليت سبيله. فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود، قال:

---

(١) أخرجه النسائي وأبو يعلى وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة والطبراني والحاكم وصححه والطيالسي.

دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية فإنك لايزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي» قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقال: لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا قال: «ذاك شيطان»[(١)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «سورة البقرة فيها آية سيدة القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ٥٥/٩ كتاب فضائل القرآن، باب فضل سوة البقرة ح (٥٠١٠).

(٢) الترمذي كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٨١) وإسناده ضعيف، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها. انظر: جامع الأصول/ ابن الأثير ٤٧٤/٨.

تفسير الآيـة: هذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة:

الجملة الأولى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ﴾ علم خاص بالذات العلية، أي بالله عز وجل. وهي لا تطلق إلا على الله في الجاهلية والإسلام.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

"روى المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة فقال: كان حقه إلاه، أدخلت الألف واللام تعريفاً، فقيل ألإلاهُ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا: (أَلِلاَهٌ) فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة، ثم التقى لامان متحركتان فأدغموا الأولى في الثانية، فقالوا: (الله)"[2] ا.هـ.

فالله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على جميع خلقه.

" وهذا الاسم أعظم أسماء الله ـ عز وجل ـ التسعة والتسعين، لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني، من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، ولأنه أخص الأسماء، إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة

(١) سورة لقمان، الآية ٢٥.
(٢) لسان العرب/ ابن منظور ١٣/ ٤٦٧ دار صادر.

ولا مجازاً "[١]. ا. هـ .

واسم الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأ مرفوع .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كلمة التوحيد التي تتضمن النفي والإثبات، نافية جميع ما يعبد من دون الله، مثبتة العبادة لله وحده .

فلا معبود بحق إلا الله عز وجل .

﴿ إِلَٰهَ ﴾ قيل: إنه مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَه إذا تحير، لأن العقول تأله في عظمته. وأله يأله ألهاً أي تحير، وأصله وَلِهَ يَوْلَه وَلَهاً. وقد أَلِهْتُ على فلان أي اشتد جزعي عليه .

وقيل مأخوذ من أَلِهَ يأله إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المفْزَعُ الذي يُلجأ إليه في كل أمر[٢].

"وهو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلايستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣] [٤].

---

(١) المقصد الأسنى / لأبي حامد الغزالي ٦١ .

(٢) لسان العرب ١٣/ ٤٦٩ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٢ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم / ابن تيمية ٢/ ٣٨٧ .

الإله إذن بمعنى المألوه، أي: المعبود حباً وتعظيماً، ولا أحد يستحق هذا الوصف إلا الله ـ عز وجل ـ والآلهة المعبودة من دون الله هي آلهة عند متخذها آلهة، وإلا فهي لا تستحق العبادة، ولا تستحق أن يطلق عليها آلهة فهي معبودة بغير حق.

﴿لَآ﴾ نافية للجنس، ﴿إِلَٰهَ﴾ اسم لا وهنا النفي عام مطلق يشمل جميع أفراده. ﴿إِلَّا هُوَ﴾ بدل من الخبر المحذوف لأن تقدير الكلام. لا إله حق إلا هو.

فهذه الجملة تنفي نفياً قاطعاً الألوهية الحقة إلا لمن يستحقها، وهو رب العالمين.

الجملة الثانية:

قوله: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذان الاسمان جامعان لصفات الكمال.

فـ ﴿ٱلْحَيُّ﴾ كامل الحياة. وهذا الاسم يتضمن جميع صفات الله ـ عز وجل ـ الذاتية.

فالله له الحياة التامة الكاملة التي لا بداية لها ولا نهاية، وله جميع الصفات الذاتية بمعانيها العظيمة الكاملة التي لا تتم الحياة الكاملة بدونها، والتي ينبغي إثباتها لله ـ عز و جل ـ على أكمل وجه وأتمه، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والمشيئة، والعظمة، والعزة وغيرها من النعوت الكاملة. فالله ـ جل وعلا ـ القديم الباقي، الدائم الذي لا نهاية

لوجوده قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[١].

وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢].

ومن أسمائه ـ عز وجل ـ الأول والآخر والظاهر والباطن . روى مسلم بسنده عن جرير عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا... إلى أن قال: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[٣].

إذن كمال الأوصاف لله ـ عز وجل ـ يدل عليها كلمة ﴿ ٱلْحَيُّ ﴾ " فهو تعالى حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات، ومن كمال حياته أنه كامل القدرة نافذ الإرادة والمشيئة "[٤] فالله ـ تعالى ـ حياته كاملة، ويدل على كمال حياته ال التعريف التي تفيد الاستغراق .

وحياته ـ جل وعلا ـ لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال .

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[٥].

قال الزجاج في معنى الحي: يفيد دوام الوجود . والله تعالى لم يزل

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦، ٢٧ .

(٣) صحيح مسلم ٧٨/٨ ح (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٤) الحق الواضح المبين ٢٢٢/٣ .

(٥) سورة الفرقان، الآية ٥٨ .

موجوداً، ولا يزال موجوداً [١].

فالحياة الكاملة أبداً وأزلاً لله عز وجل .

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ "ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته، وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه" [٢].

وأصل كلمة ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ من القيام، وهو من أبنية المبالغة . وهو من أسمائه ـ تعالى ـ فهو القائم بنفسه لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به .

قال مجاهد: القيوم، القائم على كل شيء، وقال قتادة: القيوم، القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم .

وقال الكلبي: القيوم الذي لا بَدِيء له، وقال أبو عبيدة: القيوم، القائم على الأشياء. قال الفراء: صورة القيوم من الفعل الفيْعُول، وصورة القَيَّام الفَيْعال، وهما جميعاً مدح [٣].

قال الحسن، معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها .

وقال ابن عباس: معناه الذي لا يحول ولا يزول[٤]. وقرأ ابن مسعود

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى / أحمد إبراهيم ملا محمد ١٣١ .
(٢) الصواعق المرسلة / ابن القيم ١٣٧١/٤ .
(٣) لسان العرب ٥٠٤/١٢ .
(٤) تفسير القرطبي ٢٧١/٣ .

وعلقمة وإبراهيم النخعي والأعشى (الحي القيام) بالألف[١].

والقيوم: كامل القيومية وله معنيان:

١- هو الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه ودليله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[٢].

٢- وهو الذي قامت به السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات ودليله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٣].

فالكل مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ في كل شيء. فالمخلوقات مفتقرة إلى الله في إيجادها وإمدادها بما تحتاج من أمور الدنيا والدين، وفي جلب النفع ودفع الضرر.. وغير ذلك.

إذن الله هو الغني بذاته، المستغني عن خلقه، المغني لهم، فله ـ سبحانه ـ القيومية التامة.

" قال بعض المحققين: في قوله ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى "[٤].

وبما أنه ـ عز وجل ـ قائم نفسه قائم به غيره، فله تمام الحياة والقيومية فلذلك لا يعتريه سنة ولا نوم.

---

(١) المحرر الوجيز / ابن عطيه ٢/٢٧٤.
(٢) سورة فاطر، الآية ١٥.
(٣) سورة الرعد، الآية ٣٣.
(٤) تفسير السعدي / ١١٠.

الجملة الثالثة:

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ هاتان صفتان سلبيتان. ومن المعلوم أنه لا يوجد في صفات الله تعالى وأسمائه صفة سلبية محضة، إنما تذكر الصفات السلبية لكمال ضدها. فلكمال حياة الله وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم.

قال ابن تيمية: ينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً.

ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال. فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح، كقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾ فنفي السنة والنوم: يتضمن كمال الحياة والقيام. فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم"[1] ا. هـ

وهذا تنزيه لله عن أن يتصف بعيب أو نقص يناقض لكمال أوصافه، فهو موصوف بكل صفة كمال، منزه عن ضدها وعن نقصها، فهو موصوف لكمال الحياة وبكمال القدرة، منزه عما يضادها من الموت

---

(١) الرسالة التدمرية / ابن تيمية ٣٩ - ٤٠ وانظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى / ابن عثيمين ٢٣.

والإعياء والتعب واللغوب، فإنه لوكان موصوفاً بشيء من هذا النقص لكان ناقص القدرة[١].

لم قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾ ولم يقل لا ينام؟

" لأن الأخذ بمعنى القهر والغلبة"[٢]. حتى يعلم أن ذلك يشمل الأخذ بالقهر والغلبة، والأخذ بالاختيار فهو لا يصيبه النعاس ولا ينام لا غلبة ولا اختيارا.

ولما عبر بالأخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل: فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان[٣].

﴿سِنَةٌ﴾ **السنة:** النعاس في قول الجميع. والنعاس ما كان من العين فإذا صار في القلب صار نوماً.

وفرّق المفضل بينهما فقال: السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب[٤].

والسنة: بدء النعاس، وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه، وليس يفقد معه كل ذهنه.

والنوم: هو المستثقل الذي يزول معه الذهن.

قال الرازي في تفسيره: إن السنة ما تتقدم النوم، فإذاً كانت عبارة عن

---

(١) الحق الواضح المبين / السعدي ٣/٢١٦ - ٢٧١.
(٢) نظم الدرر / البقاعي ١/٤٩٦.
(٣) المرجع السابق ١/٤٩٦.
(٤) تفسير القرطبي ٣/٢٧٢.

مقدمة النوم، فإذا قيل: لا تأخذه سنة دل على أنه لا يأخذه نوم بطريق أولى[١].

قلت: وهذا غير مسلم للرازي، لأن النوم قد يحصل دون نعاس ابتداء. ولا يستلزم نفي السنة نفي النوم. والنعاس يستطيع الإنسان دفعه، أما النوم فقد لا يستطيع دفعه.

كذلك فإن تكرار لا النافية في قوله ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ تفيد تأكيد نفي النوم عنه ـ عز وجل ـ لذلك لو اقتصر النفي في القرآن على السنة فقط لم يُفد ذلك نفي النوم، وحاشاه أن ينام.

﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ النوم معروف للجميع، وهو يستغرق الحواس "وهو أمر جسماني محض، وربنا ـ عز وجل ـ منزه عن صفات الأجسام وعوارضها. وكيف يحدث ذلك للقيوم ـ سبحانه ـ الذي قام بنفسه، بما هو عليه من كمال الغنى والعظمة. وقام بجميع المخلوقات"[٢].

والنوم يقطع التعب والعناء، والذي يتعب ويحس بالعناء هو المخلوق. أما الخالق فلا يتعب ولا يحتاج إلى راحة أو نوم لكمال صفاته وأسمائه. لكن المخلوق الضعيف يحتاج إلى النوم والاسترخاء والنعاس قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾[٣]. وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازي ١/٣٠٧-٣٠٨.
(٢) تفيسر آية الكرسي/ عبدالرحمن الدوسري ٣٠.
(٣) سورة النبأ، الآية ٩.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾[1].

فالمراد من قوله ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال[2]. فبذلك يكون النوم قاطعاً للتعب والمشقة .

والإنسان وغيره من المخلوقات محتاج إلى الله في يقظته ونومه . لكن الخالق المتصف بالقيومية وتلك الصفة تنافي السنة والنوم، لأنه ـ عز وجل ـ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام .

جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار. حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3].

الحاصل: أن الله ـ تعالى ـ لا تدركه آفة ولا يلحقه نقص. والنوم نقص. والمعلوم أن أهل الجنة لا ينامون في الجنة فهم ليسوا بحاجة إلى النوم لكمال حياتهم، ولما في النوم من نقص التلذذ بنعيم الجنة وثوابها .

الجملة الرابعة:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اللام للملك فهو يملك كل شيء

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٤٧ .

(٢) القرطبي ١٣/٣٨ .

(٣) مسلم ١/١١١ كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام» .

ملكاً تاماً. وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم . وكل ما حقه التأخير إذا تقدم فهو يفيد الحصر، فبذلك يكون سبب تقديم الخبر حصر ملكية السماوات والأرض وما فيهن لله ـ عز وجل ـ دون سواه، لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته .

﴿مَا﴾ اسم موصول، وهو من صيغ الجمع، مبتدأ مؤخر. و ﴿مَا﴾ تشمل العاقل وغير العاقل، أما: من فهي للعاقل فقط لذلك جاءت ﴿مَا﴾ في هذه الآية لتكون ملكية الله ـ عز وجل ـ شاملة لجميع ما في السماوات والأرض من الأعيان والأحوال .

قال ابن عطية: جاءت العبارة بما وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود [1].

والمعلوم " أن غير العاقل أكثر من العاقل، ولكننا نقول: غلبت (ما) على (من) لأن (ما) تشمل الأعيان والأحوال. والمراد بالأحوال: التصرف في هذه الكائنات، فالله له ما في السماوات والأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً، ولهذا جاءت (ما) .

وإذا قصدت الأحوال أتى بـ (ما) حتى في العاقل قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[2].

---

(١) المحرر الوجيز / ابن عطية ٢/٢٧٦ .

(٢) سورة النساء، الآية ٣ .

ولم يقل: (من)، لأن المرأة تنكح لحالها ووصفها، لا لشخصها" [١].

والحصر الذي في الآية يدل على أن الله ـ عز وجل ـ ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً. وحده دون سواه. فهو المالك وما سواه مملوك، وهو الخالق وغيره مخلوق. وجميع ما في السماوات والأرض ملكه وعبيده مقهورون بعزته، خاضعون لمشيئته، وهو الرقيب عليهم لافتقارهم إليه وتكفله بهم.

فالواجب أن نخضع له خضوع تذلل وخشوع وطاعة. قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [٢].

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جمع السماوات، وأفرد الأرض، وإن كان المراد فيها الجمع لأن الأرض في هذه الآية مراد منه الجنس قوله ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جميع ما فيهن من ملائكة وغيرها. ومن المعلوم أن الملائكة عددهم كثير وقد ملؤوا السماوات كما في الحديث: «ما من موضع شبر إلا فيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد» [٣].

كذلك ما جاء في القرآن من ذكر البيت المعمور الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ [٤].

---

(١) أحكام القرآن / الشيخ ابن عثيمين. أشرطة الشيخ رحمه الله.

(٢) سورة مريم، الآية ٩٣.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٥٠٦/٢، كتاب المبتدأ والأنبياء وعجائب المخلوقات، (٨٥٢).

(٤) سورة الطور، الآية ٤.

والذي يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه كما جاء في الحديث الصحيح في حديث الإسراء بعد مجاوزته عليه الصلاة والسلام إلى السماء السابعة «**ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»(١).

وكلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تدل على أن السماوات عديدة، وقد ورد ذلك في القرآن، وأن عددها سبع سماوات كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾(٢).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾(٣).

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقات.

وقد ورد في القرآن على أن الأرض أكثر من واحدة ولكن لم يرد التصريح بعددها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾(٤).

فالأرضون إذن سبع، مثل عدد السماوات مع الاختلاف في الكيفية.

وقد ورد ذكر عدد الأرضين في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان

---

(١) صحيح مسلم ١/١٠٤، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٨٦.

(٣) سورة الملك، الآية ٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية ١٢.

عن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين»[(١)].

الجملة الخامسة:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

﴿مَن﴾ اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ ﴿ذَا﴾ ملغاة، ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول خبر المبتدأ وقد تكون ﴿ذَا﴾ خبر المبتدأ، و ﴿ٱلَّذِى﴾ نعت ﴿ذَا﴾ أو بدل.

والاستفهام هنا يراد به النفي لوجود الإثبات في آخر الجملة، حيث قال: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

قال الشوكاني: في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها والتقريع والتوبيخ له ما لا مزيد عليه[(٢)]. ا. هـ

﴿يَشْفَعُ﴾ الشفاعة في اللغة: مصدر من الشفع وهو ضد الوتر، وشفع فيه أعانه، والشفاعة تطلق على الدعاء[(٣)].

---

(١) البخاري ٥ /١٠٣ كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ح (٢٤٥٢، ٢٤٥٣) ومسلم ١/٨٥ كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٢) فتح القدير / الشوكاني ١/٢٧٢.

(٣) لسان العرب ٨/١٨٣ - ١٨٤.

أما الشفاعة اصطلاحاً: فهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم. وهي عموماً «التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة»[١].

وهي نوعان:

١- شفاعة مثبتة. ٢- وشفاعة منفية.

أما المثبتة: فهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد وهي مقيدة بأمرين:

١- إذن الله للشافع أن يشفع. ٢- رضاه عن المشفوع له.

وأما المنفية: فهي التي تطلب من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والناس في الشفاعة ثلاث طوائف:

١- طائفة أنكروها، وهم: اليهود، والنصارى، والخوارج.

٢- طائفة أثبتوها وغلوا في إثباتها، حتى جوزوا طلبها من الأولياء والصالحين.

٣- طائفة أثبتوا الشفاعة الشرعية، كما ذكرها الله في كتابه[٢].

الشفاعة الشرعية: هي التي أثبتها الله ـ عز وجل ـ في كتابه وتطلب من الله وحده قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[٣].

فالله ـ عز وجل ـ هو مالكها ولا تطلب إلا منه، وليس لمن تطلب منه

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد / الشيخ ابن عثيمين ١/ ٣٣٠.

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد/ عبدالرحمن بن محمد العاصمي النجدي ١٣٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٤٤.

شيء منها. وطلب الشفاعة عبادة وتأله لا يصلح إلا لله ـ عز وجل ـ والشفاعة المثبتة إنما تقع يوم القيامة. وهي بإذن الله، وهي التي ورد ذكرها في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

ولقد ذكر رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قد ادخر دعوته للشفاعة يوم القيامة .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة ـ إن شاء الله ـ من مات لا يشرك بالله شيئاً»[2].

والشفاعة العظمى التي اختصها الله لرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهل الإخلاص، هي التي جاءت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري بسنده عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا. فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا

(١) سورة طه، الآية ١٠٩ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٣١، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوة الشفاعة لأمته .

هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤله ربه ما ليس له به علم فيستحي، ويقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا موسى، عبد كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه ويقول: ائتوا عيسى عبدالله ورسوله، وكلمة الله وروحه: فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ماشاء الله ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة. ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي (مثله) ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود ثالثة. ثم أعود الرابعة، أقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود »[1].

فهذا الحديث الصحيح يثبت الشفاعة للنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد إذن الله ـ عز وجل ـ وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أُتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلحم فرفع إليه الذراع،

(١) البخاري ١٦٠/٨ كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ح (٤٤٧٦) وكتاب الرقاق، باب الحشر ٤١٧/١١ ح (٦٥٦٥).

وكانت تعجبه، فنهش منها ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وذكر الحديث إلى أن قال: «فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تُعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس في الأبواب»[(١)].

ثم بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحق الناس بشفاعته حين سأله أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[(٢)].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج في معنى الحديث: تأمل هذا الحديث كيف جعل الأسباب التي تُنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم. فقلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما في زعم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم.

ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ

(١) العلو / الذهبي ١٢١ ح ٨٣.
(٢) أحمد في المسند ٣٠٧/٢، وابن حبان في صحيحه ١٣١/٨ وله شاهد في مسلم.

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[١].

وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٢].

وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذه ثلاثة فصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها[٣]. ا. هـ

والشفاعة الخاصة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستة أنواع:

١- الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام ـ حتى تنتهي إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول: « أنا لها »[٤].

٢- شفاعته لأهل الجنة، في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

٣- شفاعته لقوم من العصاة من أمته، قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم ألا يدخلوها.

٤- شفاعته في العصاة من أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبهم.

٥- شفاعته لقوم من أهل الجنة، في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم.

٦- شفاعته في بعض الكفار من أهل النار، حتى يخفف عذابه وهذه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

(٣) مدارج السالكين / ابن القيم ١/ ٣٤١.

(٤) جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري رقم (٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣).

خاصة بأبي طالب وحده[١].

هذا بالنسبة للشفاعة المثبتة . أما الشفاعة المنفية فهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[٣].

وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٤].

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[٥].

«قطع الله بهذه الآية كل سبب يتوسل به المشروكون لدعوة غيره، وبين أن من كان بهذا الوصف لا ملك له بوجه من الوجوه، ولا شركة في الملك، ولا معاونة ومظاهرة فيه، وليس له شفاعة بدون إذن الله ـ لا يستحق من

---

(١) انظر: فتح المجيد / عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٢) سورة الأنعام، الآية ٥١ .
(٣) سورة الزمر، الآيتان ٤٣ - ٤٤ .
(٤) سورة يونس، الآية ١٨ .
(٥) سورة سبأ، الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

العبادة مثقال ذرة»[١].

فهذه الشفاعة منتفية وممتنعة، وفي هذه الآيات رد على المشركين ومن على شاكلتهم، الذين اتخذوا شفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين والأصنام وغيرها. وبين لهم ـ عز وجل ـ أن الشفاعة التي تطلب من غيره شفاعة مردودة. بل إن الشفاعة ملك له وحده وهي تطلب منه قال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام الأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها. بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه)[٣] فلا شفاعة إلا بإذن الله ـ عز وجل ـ ولمن رضي الله قوله وعمله بتجرده من الشرك. فبذلك يتبين عظيم ملكوت الله ـ تعالى ـ وكبريائه وأن جميع ما في السماوات والأرض ملك له وتظهر مناسبة ذكر قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ بعد ذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فالملك خاص به ـ تعالى ـ وحده، وهو ملك تام السلطان.

---

(١) الحق الواضح المبين / السعدي ٣/٢١٤.
(٢) سورة النجم، الآية ٢٦.
(٣) ابن كثير ٤/٢٥٥.

﴿عِندَهُۥٓ﴾ أي عند الله ـ تعالى ـ .

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ في هذه الجملة إثبات الشفاعة فبعد أن قال في أول الجملة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ أثبت أن الشفاعة حاصلة وكائنة ولكن بعد إذن الله ـ تعالى ـ بذلك، فلولا ثبوتها لم يكن لذكر قوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فائدة .

فالحاصل أن الشفاعة كائنة بعد استئذان الله ـ تعالى ـ .

وتبين كذلك مما سبق عن الشفاعة أنها لا تطلب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدنيا استقلالاً، لا في حياته ولا بعد موته، إنما يطلب المؤمن من ربه ـ عز وجل ـ الشفاعة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: اللهم شفعه فيّ، أو اللهم اجعلنا من شفعاء نبيك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد من قوله ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي إعلامه[1] بأنه راضٍ بذلك الأمر، وهي الشفاعة .

الجملة السادسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ .

مراتب العلم هي:

١- العلم: وهو إدراك الأمر إدراكاً جازماً عن طريق اليقين .

٢- الظن: وهو إدراك الطرف الراجح، فالعلم أرجح .

٣- الشك: وهو استواء الطرفين العلم وعدمه .

---

(١) الأذان: الإعلام، وآذنتك بالشيء: أعلمتكه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلم الله . (لسان العرب ١٣/ ٩) .

٤- وهم: وهو عدم إدراك العلم بل الجهل أرجح من العلم.

٥- جهل: وهو عدم العلم بالشيء.

وعلم الله ـ جل وعلا ـ علم محيط بكل شيء فهو العليم الذي أحاط علمه بالعلم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، محيط علمه بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، ظاهرها، وباطنها. فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية من أحوال الناس. ويعلم الأشياء علماً تاماً شاملاً جملة وتفصيلاً. وهو ليس كعلم العباد.

والنصوص القرآنية، في ذكر إحاطة علم الله كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[2].

وقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[3].

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[4].

---

(١) سورة مريم، الآية ٦٤.
(٢) سورة يونس، الآية ٦١.
(٣) سورة طه، الآيتان ٥١، ٥٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٨٠.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ما كان وما سيكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم أحوال المكلفين قبل إنشائهم وحين أنشأهم وبعد مماتهم وبعدما يحييهم فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء." فعلمه محيط بكل شيء: بالواجبات والممتنعات والممكنات، فيعلم ـ تعالى ـ نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وُجدت كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[2].

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ عنها لو وجدت على وجه الفرض والتقدير، ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد، مما لم تقتضِ الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجلي والخفي قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] [4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢ .
(٢) سورة المؤمنون، الآية ٩١ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣١ .
(٤) الحق الواضح المبين ٣/٢٣٠ .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

﴿مَا﴾ من صيغ العموم، فهي شاملة لكل شيء: الماضي والحاضر والمستقبل، سواءً أكان من أفعال الله ـ عز وجل ـ أو من أفعال المخلوقين.

قال مجاهد في تفسير قوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما بين أيديهم: الدنيا، وما خلفهم: الآخرة. وهذا صحيح في نفسه عند موت الإنسان، لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان، وما خلفه هو كل ما يأتي بعده، وبنحو قول مجاهد قال السدي وغيره[1].

«وعلمه سبحانه وتعالى ـ (ما بين أيديهم): يقتضي أنه لا يجهل المستقبل، وعلمه (ما خلفهم) يقتضي أنه لا ينسى الماضي»[2].

الجملة السابعة:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

أحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كلها. وأحاط به عِلمه وأحاط به علماً[3].

والمراد ـ والله أعلم ـ أن الخلق الذين في السماوات والأرض، المذكورين آنفاً ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يحيطون ولا يعلمون شيئاً من علم الله ـ عز وجل ـ إلا ما أراد الله ـ عز وجل ـ أن يطلعهم عليه.

---

(١) المحرر الوجيز / ابن عطية ٢/٢٧٧.

(٢) أحكام القرآن / الشيخ محمد العثيمين.

(٣) لسان العرب ٧/٢٨٠.

«ولما بين قهره لهم بعلمه، بيَّن عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بعلمه فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ﴾ أي قليل ولا كثير ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فبان بذلك ما سبقه، لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته، فكان منزهاً عن الكفؤ متعالياً عن كل عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلا بإذنه لأنه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده»[(١)].

﴿بِشَيْءٍ﴾ جاءت نكرة لتفيد العموم.

﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ «يحتمل من علم ذاته وصفاته، يعني: أننا لا نعلم شيئاً عن الله وذاته وصفاته إلا بما شاء مما علمنا إياه»[(٢)].

ويحتمل أن (العلم) هنا بمعنى المعلوم، أي ولا يحيطون بشيء من معلوماته، لأن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض. والمعنى: لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه[(٣)].

لأن معلومه ـ عز وجل ـ يدخل فيه علمه بذاته وبصفاته. والله تعالى أعلم.

وما علمنا الله ـ عز وجل ـ كثير بالنسبة لنا، قليل لمعلومه ـ تعالى ـ فنحن نعلم أشياء عن أسماء الله ـ عز وجل ـ وعن صفاته، وعن الأحكام

---

(١) نظم الدرر / البقاعي ١/٤٩٧.
(٢) شرح العقيدة الواسطية، الشيخ ابن عثيمين ١/١٧١.
(٣) المحرر الوجيز / ابن عطية ٢/٢٧٧، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ١٤٣.

الشرعية، والأحكام الكونية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

وقوله: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[2].

وقوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3].

وهو الذي أعلمنا أنه استوى على عرشه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[4].

وهو الذي أعلمنا أن السماوات مخلوقة بغير عمدٍ وعددها سبع: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾[5].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ ﴾[6].

---

(١) سورة الحشر، الآيات ٢٢ - ٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٥.
(٤) سورة طه، الآية ٥.
(٥) سورة لقمان، الآية ١٠.
(٦) سورة الملك، الآية ٣.

وهكذا بقية المعلومات، لا نحيط بها علماً، إلا بما شاء الله. حتى المعلومات التي أمامنا يجهلها الكثير منا إلا إذا شاء الله أن نطلع عليها .

هناك أيها القارئ كثير من المعلومات التي في أنفسنا نحن نجهل الكثير منها، من تلقيح البويضة، وبيان معنى النطفة، وكيفية التعشيش في مرحلة العلقة، ثم المضغة وما هيتها، إلى وقت الولادة وما إلى ذلك من المعلومات الدقيقة عن خلق الإنسان والتي لم تعرف تلك الأطوار الدقيقة إلا قبل عشرات السنين، والتي يتم تعلمها بتعليم الله إيانا لها. فبذلك يتضح أننا لا نعلم شيئاً مما يعلمه الله، إلا بما شاء، ولا نحيط بشيء مما يتعلق بصفاته ولا بذاته إلا بما شاء. فبذلك يتبين كمال علمه ـ عز وجل ـ .

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي ما شاء من الذي علمهم الله إياه وهو استثناء . وقد أعيد العامل وهو حرف (الباء) .

﴿بِمَا﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية، فالتقدير على ذلك: إلا بمشيئته .

ويحتمل أن تكون موصولة والتقدير . إلا بالذي شاء .

وعلى التقدير الثاني يكون العائد محذوفاً وتقديره إلا بما شاءه .

بذلك نعلم أنه لا أحد يطلع من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ـ تعالى ـ وأطلعه عليه .

الجملة الثامنة:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

﴿وَسِعَ﴾ أي اتسع لها، ووَسَع الشيء: لم يضق عنه[1]، ووسع:

(١) لسان العرب ٣٩٣/٨ .

شمل وأحاط .

﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ الكرسي : هو موضع قدمي الرب ـ عز وجل ـ وهو بين يدي العرش كالمقدمة له .

وقد قيل في معنى الكرسي أقوال منها :

- ما روي عن حبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن معنى ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ أي علمه .
- وقال بعض العلماء : منه قيل للعلماء الكراسي ، وفيه الكراسة التي يجمع فيها العلم .
- ورجح ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ هذا القول .
- وقيل ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض .
- وقيل ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ عرشه .
- وقيل ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ تصوير لعظمته ـ تعالى ـ .

أما الرواية التي ذكر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أن الكرسي هو العلم ، فهي لا تصح عن ابن عباس . لأنه لم يرد في اللغة العربية أن معنى الكرسي هو العلم .

قال ابن منظور : الكرسي : معروف واحد الكراسي ، والكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السماوات والأرض ، والكرسي في اللغة والكراسية إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا .

ثم قال: وقد روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضع القدمين وأما العرش فإنه لا يقدر قدره، قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، قال: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل[١]. ا. هـ.

وأما قول من قال: إن كرسيه قدرته فهذا تأويل ظاهر. فالقدرة غير الكرسي. ولا حقيقة لذلك فالقدرة صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ وصفات الله ليست مخلوقة. أما الكرسي فهو من مخلوقات الله ـ عز وجل ـ ولا يصح أن يكون صفة من صفاته ـ تعالى ـ وهو مخلوق فحاشاه أن تكون صفاته مخلوقة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأما قول من قال: إن الكرسي هو العرش فيرد ذلك حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ما السماوات السبع والأرضون السبع بالنسبة للكرسي. إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة»[٢].

ففرق ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين العرش والكرسي.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الكرسي موضع قدمي الرب ـ عز وجل ـ حيث قال: « إنه موضع قدمي الله ـ عز وجل ـ »[٣].

---

(١) لسان العرب ٦/١٩٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش) رقم ٥٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥١٠ - ٥١١ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش) رقم ٦١، والحاكم في المستدرك ٢/٢٨٢. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٣ للطبراني. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. شرح العقيدة الطحاوية ٢٧٩.

من ذلك وغيره يتبين أن القول الفصل في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الكرسي هو موضع قدمي الرب ـ عز وجل ـ وبهذا القول، جزم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ وغيرهما من أئمة العلم وأهل التحقيق.

قال القاضي أبو محمد: والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه[1]. ا. هـ.

الحاصل: أن هنالك فائدة عظيمة تستنبط من ذلك وهي: بيان عظم قدرة الله ـ عز وجل ـ حيث لا يؤده حفظ تلك المخلوقات على كثرتها وعظمتها وكبر حجمها.

وفيه فائدة أيضاً حيث تدل على عظم مخلوقات الله ـ تعالى ـ وعظم المخلوق دليل على عظم خالقها وموجدها، ودليل على سعة ملكه، وقوته وإحاطة علمه.

وفي ذلك أيضاً دليل على سعة الأكوان التي خلقها الله ـ عز وجل ـ وأن السماوات والأرض على عظمها لا تعتبر شيئاً بالنسبة إلى الكرسي، وكل هذه المخلوقات وغيرها مما هو أعظم منها كالعرش لا تكاد تذكر بالنسبة لموجدها: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[2].

---

(١) المحرر الوجيز / ابن عطية ٢/٢٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

وفيه دليل على إثبات القدمين لله ـ عز وجل ـ وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة .

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «اختصمت الجنة والنار إلى ربها، فقالت الجنة: رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس. وقالت النار: أوريت بالمتكبرين. ـ يعني أججت بهم ـ فقال الله للجنة أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي، أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه ينتهي إلى النار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثاً حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط ثلاثا »[1].

ولا يلزم من إثبات القدمين لله ـ عز وجل ـ التجسيم، ولا التشبيه . فهو ـ سبحانه ـ ليس له شبيه ولا مثيل في أسمائه ولا في صفاته .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2].

وأهل السنة والجماعة يثبتون القدمين لله ـ عز وجل ـ كما يليق بجلاله وعظمته، وهما ليستا جارحتين ولا يقال ذلك خلافاً للمشبهة، ويثبتونها له ـ عز وجل ـ من غير تعطيل خلافاً للجهمية المعطلة .

---

(١) البخاري ١٣/٤٣٤، كتاب التوحيد، باب ماجاء في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ح (٧٤٤٩).

(٢) سورة الشورى، الآية ١١ .

الجملة التاسعة:

قوله ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي لا يُثقله .

وأصل الكلمة: آده الأمر أوْداً و أَوَداً: بلغ منه المجهود والمشقة ويقال: آدَني يَؤُدْنُي: أي أثقلني. وقال أهل التفسير، وأهل اللغة في قوله ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ معناه ولا يكرثه ولا يثقله ولا يشق عليه من آده يؤوده أوْداً [(١)].

وقيل من الأيد... وهو القوة ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٢)] أي ذا القوة[(٣)] إذن المراد ـ والله أعلم ـ من ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي لا يُثقِلِه «وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم» [(٤)].

فالله ـ عز وجل ـ لا يثقله حفظ هذه العوالم العظيمة ولا يكرثه حفظ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما بل ذلك يسير فهو ـ عز وجل ـ القائم على كل نفس بما كسبت كل شيء حقير بين يديه متواضع ذليل بالنسبة إليه، ومحتاج إليه، فهو القاهر فوق عباده لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

---

(١) لسان العرب / ابن منظور ٣/٧٤-٧٦ .
(٢) سورة ص، الآية ١٧ .
(٣) فتح القدير / الشوكاني ٤/٤٢٤ .
(٤) المحرر الوجيز / ابن عطية ٢/٢٧٩ .

قال ابن تيمية: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته[1]. ا. هـ.

وهذه الصفة من الصفات السلبية. النفي فيها يتضمن صفات الكمال، لأن نفي ذلك يستلزم أنه قوي، قادر، محيط، عليم. إلى غير ذلك من الصفات التي اتصف بها الخالق ـ عز وجل ـ من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل.

﴿حِفْظُهُمَا﴾ الحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، وحَفِظَ المال والسر حِفْظاً: أي رعاه. ومنه الحفظة: الذين يحصون الأعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة[2].

وهؤلاء الحفظة يكتبون ويحصون على ابن آدم كل خير وشر وطاعة ومعصية. بعلم الله ـ عز وجل ـ وهذا يقتضي إحاطته بأحوال العباد كلها الظاهر منها والباطن. فمن هذا يتضح لنا أن الله ـ عز وجل ـ قد حفظ على عباده ما عـملوه وأحصاه عليهم. ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[3].

أيضاً من المعاني التي يتضمنها الحفظ حفظه لجميع خلقه بهدايتهم وتيسيرهم إلى مصالحهم وأمور معاشهم، ودفع ما يضرهم. فهو سبحانه

(١) الرسالة التدمرية / ابن تيمية ٤٠.
(٢) لسان العرب ٤٤١/٧.
(٣) سورة المجادلة، الآية ٦.

الذي يحفظ جميع مخلوقاته بنعمه، ويخص عباده الصالحين بحفظ خاص. فيدفع عنهم مايؤذيهم وما يضرهم في دينهم ودنياهم. جاء في الحديث: «احفظ الله يحفظك»[١].

فإذا حفظ المسلم ربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حفظه الله بتوفيقه إلى الخير في الدنيا والآخره وحفظه من كل مكروه وكل شيطان.

فالله ـ عز وجل ـ لا يثقله حفظ هذه المخلوقات العظيمة بل إن ذلك عليه يسير.

والحفيظ من صفات الله ـ عز وجل ـ.

قال الحكيمي: ومعناه الصائن عبده من أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه[٢].

وهو الذي لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السماوات والأرض[٣].

الجملة العاشرة:

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ هذه الجملة تفيد الحصر لأن طرفيها معرفة فهو ـ سبحانه ـ العلي العظيم وحده دون سواه.

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب رقم (٦٠)، ح (٢٥١٨) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في المسند رقم (٢٦٦٩)، (٢٧٦٣)، (٢٨٠٤).

(٢) شرح أسماء الله الحسنى على منظومة الشيخ عبدالغني النابلسي / أحمد إبراهيم ملا محمد ١٠٧.

(٣) شرح أسماء الله الحسنى / ابن منظور ٧٨.

﴿ٱلْعَلِيُّ﴾ صفة مشبهة، والصفة المشبهة تكون لازمة لا ينفك عنها الموصوف. فعلو الله ـ عز وجل ـ لازم لذاته. وله سبحانه ـ جميع معاني العلو: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر والغلبة، وعلو الأسماء والصفات.

قال السعدي: «فجميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه فله علو الذات فإنه فوق المخلوقات، وعلى عرشه استوى، أي علا وارتفع. وله علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلايماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[1].

وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علو القهر، فإنه الواحد القهار، الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه مانع، وما لم يشأ لم يكن[2]. ا. هـ.

وقد قسم العلماء العلو إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات.

أما علو الذات: فإن معناه أنه فوق مخلوقاته مستو على عرشه ليس فوقه شيء بل كل الأشياء تحت الله ـ عز وجل ـ.

وأما علو الصفات: فمعناها علو صفاته عن مشابهة المخلوقين،

---

(١) سورة طه، الآية ١١٠.

(٢) الحق الواضح المبين ٢٢٤/٣، وانظر: توضيح الكافية الشافية ٣٧٧/٣.

فلا يماثله أحد من خلقه، بل لا يستطيع الخلائق كلهم الإحاطة ببعض معاني صفة واحدة من صفاته فهو كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

في نعوته وأسمائه وهو كما قال عن نفسه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[2].

فصفاته ـ عز وجل ـ عليا ليس فيها نقص بأي وجه من الوجوه.

وبعض النفاة من أهل التعطيل قالوا: إن الله عالٍ علوا وصفياً وهم على قسمين:

فمنهم من يرى أن الله بذاته موجود في كل مكان ومنهم من يرى أن الله ـ تعالى ـ لا يمين ولا شمال، ولا فوق ولا تحت، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل. وهذا قول النفاة المعطلة.

فَمَن هذا وصفه فهو المعدوم لأن هذا تعطيل محض. وعلو الله ـ عز وجل ـ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: كقوله تعالى وهي أدلة على العلو:

- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[3].
- ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[4].

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.
(٢) سورة الروم، الآية ٢٧.
(٣) سورة الأعلى، الآية ١.
(٤) سورة الشورى، الآية ٥١.

- ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[١].

وقوله: وهي أدلة على الفوقية:

- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٢].
- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٣].

وقوله وهي أدلة على صعود الأشياء إليه:

- ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٤].
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٥] «والآية فيها إثبات علو الله على خلقه لأن الصعود والرفع يكونان إلى أعلى»[٦].

وقوله الذي يدل على رفع بعض المخلوقات إليه:

- ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[٧].
- وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[٨].

---

(١) سورة الرعد، الآية ١٣ .
(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٨ ، ٦١ .
(٣) سورة النحل، الآية ٥٠ .
(٤) سورة المعارج، الآية ٤ .
(٥) سورة فاطر، الآية ١٠ .
(٦) شرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح الفوزان ٨٠ .
(٧) سورة النساء ، الآية ١٥٨ .
(٨) سورة آل عمران، الآية ٥٥ .

وقوله الذي يدل على نزول بعض الأشياء:

- ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[١].
- وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢].

وأما السنة: فقد وردت بذلك الأحاديث القولية والفعلية والتقريرية فالقولية: كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك... »[٣] الحديث. «في الحديث إثبات العلو لله ـ تعالى ـ وأنه في السماء، والعلو صفة ذاتية»[٤].

والفعلية: كفعله يوم عرفة حين أشار صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقال: «اللهم اشهد»[٥].

والتقريرية: كفعله مع الجارية حين سألها «أين الله؟» فقالت: في السماء، فقال لسيدها: «أعتقها فإنها مؤمنة»[٦] «فقول الجارية: إنه في السماء المراد منه العلو، وأنه فوق كل شيء. مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها، وإذا قيل: العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات

---

(١) سورة غافر، الآية ٢ .
(٢) سورة النحل، الآية ١٠٢ .
(٣) أبو دواد ١٢/٤ كتاب الطب، باب كيف الرقي، ح (٣٨٩٣) .
(٤) شرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح الفوزان ١١٤.
(٥) صحيح مسلم: من حديث جابر في حجة الوداع، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح (١٢١٨١) .
(٦) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ح (٥٣٧) .

كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، و لا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به، إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله»[١].

وروى البخاري بسنده عن أنس أن زينب ـ رضي الله عنها ـ كانت تفخر على أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي» وفي رواية «تغلب غضبي»[٣].

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة كلهم على أن الله فوق العرش ولم يروَ عن أحد منهم قول: إن الله في كل مكان قال ابن تيمية: ليس في كلام الله ولا رسوله ولا كلام الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على أن الله تعالى ليس فوق العرش، وليس في السماء. بل كلامهم متفق على أن الله فوق كل شيء.

---

(١) التدمرية / ابن تيمية ٥٧.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠٣/١٣ كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) ح (٧٤٢٠) ورواه الترمذي برقم (٣٢٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٨٧/٦ كتاب الخلق، باب قوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ح (٣١٩٤)صحيح مسلم ٩٥/٨، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح (٢٧٥١).

قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون ونقول: إن الله ـ تعالى ذكره ـ فوق عرشه[١].

قال الذهبي: أورد المصنف من رواية أبي صفوان الأموي عبدالله بن سعيد بن عبدالملك بن مروان: حدثنا يوسف بن يزيد عن الزهري عن ابن المسيب عن كعب الأحبار، قال: قال الله ـ عز وجل ـ في التوراة: (أنا فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي، أدبر أمور عبادي، لا يخفى عليّ شيء في السماء ولا في الأرض)[٢].

أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

" أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودَين، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول: باطل: أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول. الثالث: أن كونه ـ تعالى ـ لا داخل العالم ولا خارجه: يقتضي نفي

(١) القواعد المثلى / ابن عثيمين ٦٢، انظر الفتاوى / ابن تيمية ٥/٢٢٩.
(٢) قال الذهبي: رجاله ثقات رجال الشيخين، العلو / الذهبي ١٢٨ ح: ٩٧.

وجوده بالكلية، لأنه غيرمعقول. فيكون موجوداً إما داخله أو خارجه. والأول باطل فتعين الثاني، فلزمت المباينة.

وأما ثبوته بالفطرة: فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله ـ تعالى ـ.

ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر، أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجَد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني أراد الشيخ أنّ هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو"[(١)].

قوله: ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

صفة مشبهة ومعناها: ذو العظمة وهي القوة والكبرياء وما أشبه ذلك

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٠- ٢٩١، وانظر: رسائل في العقيدة، ابن عثيمين ٦٦.

مما هو معلوم من دلالة هذه الكلمة. فهو عظيم القدر والشأن، وهو القوي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله وعظمته أنوف المتكبرين قال ابن جرير: العظيم الذي قد كمل في عظمته[١].

جاء في الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله يقول: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته»[٢].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم»[٣].

وروي أنه قال: «يرمي بها كما يرمي الصبي بالكرة». فهذا يبين أن الأفلاك لا نسبة لها على قدرة الله ـ تعالى ـ مع كونه ـ سبحانه وتعالى ـ يطوي السماء ويقبض الأرض[٤].

إن الله ـ تعالى ـ عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

---

(١) تفسير ابن جرير ٥/٤٠٦.
(٢) مسلم ٤/٢٠٢٣.
(٣) سبق تخريجه انظر صفحة (٢٩)، هامش (٢).
(٤) الفتاوى / ابن تيمية ٥/٣٠٨.

ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، وله القدرة النافذة، والكبرياء والعظمة. ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1].

ثانيها: من معاني عظمته ـ تعالى ـ أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق ـ جل جلاله ـ من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يُتقى حق تقاته، فيطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[2].

و ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[3].

ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٧.
(٢) سورة الحج، الآية ٣٢.
(٣) سورة الحج، الآية ٣٠.
(٤) الحق الواضح المبين ٢٢٥/٣.

الخاتمة :

من خلال البحث ظهر لي بعض ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة :

١- اشتملت هذه الآية العظيمة على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فهي عقيدة في أسماء الله وصفاته وهي تنفي النقص، وتثبت الكمال .

٢- افتتحت الآية بالاسم العلم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى علواً وعظمة تتقاصر عنها الأفهام لما غلب عليها من الأوهام ونظم الاسمين هكذا دال على أنه أريد بالعظيم علو الرتبة[١]. وبعد المنال عن إدراك العقول، وقد ختمت الآية بما بدئت به غير أنه بدأها بالعظمة[٢].

٣- اشتملت على خمسة أسماء من الأسماء الحسنى هي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم .

٤- كما اشتملت على صفات عدةٍ منها ما تتضمنه هذه الأسماء وهي: الإلهية، الحياة، القيومية ـ العلو ـ العظمة .

---

(١) العلو يشمل علو الذات وعلو الصفات .

(٢) نظم الدرر / البقاعي ١/٤٩٨ .

ومنها غير ذلك وهي:

- انتفاء السنة والنوم لكمال قيوميته . والملك التام وانفراده به . إثبات العندية في قوله ﴿عِندَهُۥ﴾ وهذا يرد على الحلولية الذين يقولون: إن الله في كل مكان .
- إثبات الإذن وهو الأمر ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فلا شفاعة إلا من بعد أن يأذن الله .
- إثبات علم الله ﴿يَعْلَمُ﴾ .
- إثبات المشيئة ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.
- إثبات القدمين لوجود ما يوضع عليه القدمين ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ .
- إثبات كمال علمه وحفظه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ .

«الرب ـ تعالى ـ له العظمة بكل اعتبار وكل وجه بذاته، والمعطلة تنكر عظمة ذاته، ولا يثبتون إلا عظمة معنوية لا يثبتون عظمة الذات كما يقولون مثل ذلك في العلو إنه علو معنوي لا أن ذاته عالية على كل المخلوقات فليس عندهم علياً ولا عظيماً إلا باعتبار معنوي فقط»[1].

وبعد، فهذا جهد المقل فإن أصبت فبفضل الله وكرمه فله الحمد والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري . أسال الله أن يعفو عني

(١) الصواعق المرسلة / ابن القيم ٤/ ١٣٧٤ - ١٣٧٥ .

ويبصرني بخطئي إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .